جامعة الإسلام الأولى (دار الأرقم بن أبى الأرقم)

نجمه بانو*

سعيده بانو**

كان دار الأرقم بن أبى الأرقم لها مكانة هامة و دور خطير فى تاريخ الإسلام , ربّى النّبى ﷺ فيها أصحابه الذين حملوا معه المسئولية الكبرى فى نشر رسالة الله تعالى و رفعوا لواء الإسلام فنصبوه على القمة .وقد كان النّبى ﷺ يأتى إلى هذه الدار و أصحابه الكرام سرًا فى اوقات غير معلنة لئلا تعلم قريش بهم فيؤذوهم بسبب عدائها لدعوة الإسلام . فيجمعون فيها فيلتقى بهم فيتلقون منه تعاليم الإسلام ، وإصلاح النفس، وهداية البشر، ومعرفة السنة، وإحياء المجتمع، وإقامة الدولة كما يتلقون منه أحكام الله عزّوجل ، حيث كان ﷺ يتلو عليهم ما ينزّل عليه من كتاب الله و يعلّمهم أمور دينهم.ويهذّبهم فقد كانت هذه هى "جامعة الإ سلام الأولى .

وأيضا قد كان ﷺ يسمع شكوى أصحابه وما يلقونه من أذى الكفار ومكر قريش ، فيطلع على ألامهم وآمالهم، ويبشّرهم بأنّ العاقبة للمتقين، وأنّ النصر والعزة مع المؤمنين ، وأن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون وكانت هذه الدارعند جبل الصفا قريبة من الكعبة المشرفة وكانت مركزا لدعوته واجتماعه بهم فكانت تسمى" دار الإسلام"(1) فهى حصنه الأوّل ومعقل قادته العظام . وأيضا كانت تسمى " المختباء "(2)لأن رسول الله ﷺ واصحابه الكرام كانوا يختبئون فيها سرًا خوفا من ان تنال منهم قريش وأما المقدسى فقد سمّاها "دار الأربعين" (3) لأنّ عدد الصحابة الذين كانوا يجتمعون فيها قد بلغ اربعين صحابيا .

الأرقم بن أبى الأرقم:

فأما سيدنا الأرقم صاحب هذه الدارفهو الصحابى الجليل الأرقم بن أبى الأرقم (4) بن أسد بن عبدالله بن عمرو القرشى المخزومى وهو صحابى رفيع الشان عظيم القدر من بنى مخزوم وأسم أبى الأرقم عبد مناف وكنيته أبوعبدالله ويروى أنّ أسد بن عبيدالله كان يكنّى أبا جندب (5) .

أسرته: ينتسب الأرقم بن أبى الأرقم إلى قبيلة بنى مخزوم أحد بطون قريش (6)التى كان لها شرفا عظيما ومكانة عظيمة فى الجاهلية و قد عرفت فى الإسلام بشدة عداوتها للنبى محمدﷺ (7) وكان منهم الكثيرون من السابقين للإسلام . وكان منهم من شارك فى حرب الفجّارمع قبيلته وكان للأرقم من الولد عبيد الله لأم ولد و عثمان لأم ولد وأمية و مريم و أمهما هند بنت عبدالله بن الحارث من بنى أسد بن خزيمة و صفية لأم ولد ويصل ولد الأرقم إلى بضعة و عشرين انسانا وكلهم من ولد عثمان بن الأرقم و أما ولد عبيدالله بن الأرقم فانقرضوا فلم يبق منهم أحد (8) واسم أم الأرقم أميمة بنت الحارث بنت حبالة بن عمير بن غيشان الخزاعية (9).

اسلامه: كان من السابقين الأولين فقد اعتنق الإسلام ابان شبابه ولم يسبقه الى الإسلام غيرستة من صحابة النبى (10)

---

*الأستاذة المشاركة،بجامعة الكلية الحكومية للنساء، فيصل آباد، باكستان

** الاستاذه المساعده، بجامعة الكلية الحكومية للنساء، فيصل آباد، باكستان

وقيل بل سبعة . وعن يحي بن عمران بن عثمان بن الأرقم قال سمعت جدى عثمان بن الأرقم يقول : أنا ابن سبعة فى الإسلام أسلم أبى سابع سبعة (11) و روى فى "المستدرك" أنّ الأرقم أسلم سابع سبعة (12وقد أسلم الأرقم على يد أبى بكر الصّدّيق -

وفاته : عمّر الأرقم بن أبى الأرقم طويلا . قال عثمان بن أبى الأرقم : توفى أبو الأرقم سنة ثلاث و خمسين وهو ابن ثلاث و ثمانين سنة (13) وقيل توفى سنة خمس و خمسين وهو ابن بضع و ثمانين سنة (14). ولما أحس بقرب اجله أوصى بأن يصلى عليه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فلما مات و كان سعد غائبا عن المدينة آنذاك فاراد مروان بن الحكم امير المدينة فى عهد معاوية بن أبى سفيان أن يصلى عليه فرفض ابنه عبيدالله بن الأرقم أن يصلى عليه أحد غير سعد بن أبى وقاص وقامت معه بنومخزوم ووقع بينهم كلام حتى جآء سعد وكان سعد بالعتيق (15)وصلى عليه ودفن بالبقيع فى المدينة(سنة55 ﻫ) وهوابن بضعة و ثمانين سنة(16).وكان الأرقم من آخر أهل بدروفاة(17).

موقع دار الأرقم بن أبى الأرقم فى العهد النبوى :

لهذه الدار موقع جغرافى مهم بسبب موقعها على الصفا الذى كان بعيدا عن انظار الكفارايام الدعوة الاسلامية فى مرحلتها الخفية وفى سيرة ابن هشام فى معرض الكلام عن اسلام عمرؓ سأل عمرالخباب عن مكان النبى ﷺ فأجاب الخباب " عند الصفا فى دار الأرقم بن أبى الأرقم " (19) و عن يحيى بن عمران بن عثمان بن أبى الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ‘ قال : انا ابن سبع الإسلام ‘ اسلم أبى سابع سبعة ‘ و كانت داره بمكة على باب الصفا و هى الدار التى كان النبى ﷺ يكون فيها اول الاسلام ‘و اسلم فيها قوم كثير‘وقال : ليلة الاثنين فيها " اللهم اعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام " (20)

ويصف الرحالة ابن جبير تلك الدارمن الداخل فى رحلته إلى البلد الحرام فيقول : والدار المكرمة دار صغيرة يجدها الداخل الحلق عن يساره ‘ وهى مجد دة البناء،أنفق فى بنائها جمال الدين ‘ نحو ألف دينار. وعن يمين الداخل للدار المباركة باب يدخل منه قبة كبيرة بديعة البناء ‘ فيها مقعدالنبىﷺ والصخرة التى كانت التى إليها مستندة و عن يمينه موضع أبى بكر الصديق‘ وعن يمين أبى بكرموضع على ابن أبى طالب‘والصخرة التى كانت إليها مستنده هى داخلة فى الجدار كشبه المحراب 21).

أهمية دار الأرقم الدينية والتاريخية والحضارية :

لهذه الدار أهمية دينية‘تاريخية وحضارية ‘ مما أسهم فى نشر الإسلام‘فإلى جانب دورها الأصلى فى اتخاذها مسكنا‘فقد قدرلها أن لاتكون كذلك بعد ذلك‘حين أصبحت قبل هجرة النبى إلى المدينة المنورة مدرسة ومسجدا ومقرا لنشرالدعوة إلى الإسلام‘ثم فى لحظة تاريخية حاسمة أخذت دورا إعلاميا خطيرا ‘ تمثل فى خروج الرسولﷺ وأصحابه منها‘لإعلان الإسلام والمجاهرة بالدعوة إليه‘دون خوف أو وجل بعد اسلام عمر بن الخطاب ‘ ثم بعد ذلك أدت دور المسجد‘ثم دور المدرسة التى كان يدرس فيها الحديث النبوى الشريف (22)‘ثم بعد إدخالها فى المسجد الحرام فى التوسيعة السعودية الأولى أصبحت جزءا منه‘فهى إذًا بيت من بيوت الله على هذه الأرض رغم تنوّع وظائفها.

سبب اختيار دار الأرقم أول مقر اساسى لدعوة الإسلام :

اختار النبى ﷺ هذه الدار مركزا لدعوته و محلا لإجتماع أصحابه بدلا من الخروج إلى الشعاب من اجل الصلاة .إنّ دعوة الآسلام لم تكن مجرد ثورة على الأغنياء والوجهاء' أو هروبا من حياة العبودية والفقر' وإنما كانت رسالة قائمة على الناس من الظلمات إلى النور'وعقيدة صافية تصحح علاقتهم مع خالقهم'و منهاجا ربّانيا ينظّم حياتهم.

واستمر النبىﷺ فى دعوته أكثر من ثلاث سنوات ' ظلّ فيها يعلّم حقائق التوحيد ' ويغرس معانى الإيمان ومحاسن الأخلاق' وتمّ اختيار دار الأرقم بن أبى الأرقم لهذه المهمة .وفى هذه الفترة شرعت ركعتين فى المساء(23) وذلك فى قوله تعالى:(وسبّح بحمدك ربّك بالعشى والأبكار) (24)وكان لاختيار دار الأرقم عدة أسباب استنتجها الشيخ المبارَكفورى فى كتابه "الرحيق المختوم" (25) منها :

1* إنّ الأرقم لم يكن معروفا بإسلامه ' فما كان يخطر ببال قريش أن يتم لقاء محمدﷺو اصحابه بداره .

2 * تحمل لواءالتنافس والحرب بنى هاشم ' فلو كان الأرقم معروفا بإسلامه فلا يخطرفى البال أن يكون اللقاء فى داره ' لأن هذا يعنى أنه يتم فى قلب صفوف العدو.

3* كان الأرقم فتىً عند اسلامه'فلقد كان فى حدود السادسة عشرة من عمره'ويوم أن تفكر قريش فى البحث عن مركز التجمع الإسلامى' فلن يخطر فى بالها أن تبحث فى بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمدﷺ بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه ' أو بيته هو نفسه عليه الصلاة والسلام فقد يخطر على ذهنهم أن يكون مكان التجمع على الأغلب.

4* أن الأرقمّ كان من السابقين الأولين دخولا فى الإسلام فهو سابع سبعة دخلوا فيه كما جاء عند الحاكم(26)وغيره' وقد كانت داره على الصفا مما يعنى جودة و مناسبة موقعها ' كما أن الأرقم كانت له مكانته و هيبته فى المجتمع القرشى.

5* ومن الأسباب الأخرى التى دعت الرسول الكريم فى اختيار دار الأرقم بن أبى الأرقم الأرقم كان يقرأ ويكتب فهو من كتاب رسول الله ﷺ فكان يكتب ما ينزل من القرآن فى الدار فى مرحلة الدعوة السّرية إلى غير ذلك من الأسباب' والله اعلم

دور دار الأرقم بن أبى الأرقم فى تربية الصحابة

منهج الجانب النظرى :

كانت دار الأرقم هى مقرّالعمل التّربوي الدعوى وما عداها من دور فتابع لها'إذا كانت هذه الدارُ تخرِّج الصحابة فتنثرهم فى بيوت مكه : دعاة إلى الله هنا وهناك وقد كان النبىﷺ يتلو عليهم القرآن'ويزكّيهم'ويعلّمهم الكتاب والحكمة وكان لابدّ من أن يجمع المربّى بتلاميذه' والقائد بأمرائه' وكان لابدّ من مقرّ يجتمع فيه العاملون للدعوة'حيث تفصّل فيه الآيات'و تشرح فيه الدّروس'و تحلّل فيه الأحداث'وهى أمور تضيق بها الخطب العامة'واللقاءات العابرة فهو كالسّراج كلّما اشتدّ وهجه اشتد أثره .

المنهج العملى : هذا المنهج يشتمل على ثلاثة أمور رئيسية.

1 *الصلاة : هى عماد الدين ومن اقامها فقد' أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين' ومن بداية الدعوة كانت الصّلاة مفروضة على المسلمين ركعتين قبل الشروق و ركعتين قبل الغروب .وذلك كما ورد فى قوله تعالى : (و

سبّح بحمد ربّك بالعشيّ والإبكار) (27) ولم يتم فرض الخمس صلوات إلاّ فى حادث الاسراء والمعراج فى أواخرالفترة المكية (28).

قيام الليل :

هو أمر مهم جدّا فى بناء الدّاعية الصّادق' والمسلم المخلص ' لدرجة أن الله فرضه على المؤمنين عاما كاملا متّصلاٍ'حتى تفطّرت أقدامهم' ثم جعله الله بعد ذلك نافلة (29).وهؤلاء الذين أسلموا فى العام الأوّل هم الذين حملوا الدّعوة تماما على اكتافهم'فمدرسة الليل من أعظم المدارس الإيمانية .

الحكمة فى الدّعوة السّرية:

اجتمع النبىﷺ بالمسلمين فى مكان آمن وأبعد'فى الشعاب لأداء الصّلاة مختفياء كلّ ذلك من أجل تأمين الدعوة. فقد كان عليه الصلاة والسلام يختار اللبنات الأولى للدعوة ممن يقدر أنهم مواضع ثقة وذوو طبيعة ما لوفة ومعادن كريمة يتسم فيهم الاستجابة لهذه الدعوة. واستمرّ النّبىّﷺ فى دعوته أكثر من ثلاث سنوات' ظلّ فيها يعلّم حقائق التوحيد'و يغرس معانى الإيمان ومحاسن الأخلاق' وتم اختيار دار الأرقم بن أبى الأرقم لهذه المهمة .

فكان من الحكمة أن يبدأ دعوته سرا' وذلك لعدة أسباب :

1 أن هذه الدّعوة كانت جديدة على أناس الفوا عبادة الأوثان والأصنام ودين الآباء والأجداد فمن الحكمة عدم التصادم معهم فكان ﷺ يصلّى فى الكعبة و فيها ثلاثمائة وستون صنما وبقيت هذه الأصنام دون أن يعترضها احد عشرين سنة إلى فتح مكة حين حطمها رسول الله ﷺ بنفسه (30). وهو يقرأ قوله تعالى : (جَاء الحَق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا) (31).

2 أن قريشا كانوا يعدون انفسهم ولاة البيت(29)' وأصحاب الزّعامة الدينية والدنيوية فى جزيرة العرب فكان من الحكمة عدم التعرّض لهم .

3 كان من الحكمة أن يتمّ اختيار نواة صلبه من الرّجال والنّساء للدعوة الجديدة تحمل على اكتافها أعباء الدعوة الجديدة وقد اثبتت الأيام ذلك .

4 منذ بداية الدعوة فقد تخرج من دار الأرقم بن أبى الأرقم جيل قوى من الصحابة استطاع أن يثبت أمام المحن المزلزلة التى تعرضت لها الدعوة فى مراحلها الأولى بمكة و تمكن هذا الرعيل الأول أن يحمل أمانة تبليغ الدعوة ونشرها فى الآفاق بعد وفاة الرسول الكريم محمدﷺ -

5 السّمة الأساسية لدعوة الرّسولﷺ اتسمت بالتدرج والمرحله .

6 و غاية الحكمة فيه أنّه لم تذكر المصادر التاريخية أنّ قريشا داهمت ذات يوم هذه الداروكشفمكان اللقاء.

7 والمادة الدراسية التى كان يتلقاه الصحابة فى دار الأرقم بن أبى الأرقم هو القرآن الكريم فهو المنهج الذى يتربّى عليه الفرد المسلم والاسر المسلمة والجماعة المسلمة فكان جبريل ينزل بالأيات على رسول الله ﷺ فيسمعها الصحابة من فمّ رسول الله ﷺ فتتسرّب فى قلوبهم و تجرى فى عروقهم مجرى الدم.

هوامش

1 الزركلى خير الدين،الأعلام،دار العلم (بيروت)،ط5 (2002م) 288/1 .
2 الفاسى، شفاءالغرام 274/1 .
3 المقدسى،أبى عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر البشارى،أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم(1877 م) 3/1
4 انظر ترجمته : ابن هشام 235/1،و الطبقات الكبرى 242 والطبقات 2: 21 و الاحادوالمثانى 18/2 والوافى بالوفيات 363/8 و الإصابة فى تمييز الصحابة 42/1 و الاستعاب فى معرفة الأصحاب 51/1 وأسد الغابة فى معرفة الصحابة 59/1 و تجريد أسماء الصحابة 12/1 وشذرات الذهب 61/1 .
5 ابن هشام السيرة النبوية 252/1 ، وابن سعد الطبقات الكبرى 3 /242 .
6 ابن حبان، الثقات 3 /4 .
7 ابن هشام ، السيرة النبوية1 /132
8 ابن كثير، البداية والنهاية 3 /29 .
9 تاريخ دمشق 405/37 .
10 صفة الصفوة 1 /442
11 ابن سعد 3 /242 .
12 المستدرك 3 /574
13 تاريخ الإسلام و طبقات المشاهير والأعلام 6 / 149 .
14 ابن سغد الطبقات الكبرى 2 /168 ،ابن حبان,الثقات 2 /5 .
15 معجم البلدان 2 /254 .
16 مختصر تاريخ دمشق 5 /111 .
17 الحاكم المستدرك على الصحيحين 7 /232 .
18 رحلة ابن جبير 126/1 .
19 245 /1
20 ابن سعد ، الطبقات 3 /242 – 243 .
21 د.عبد الوهاب أبو سليمان،عناية الملك عبدالعزيز بالأماكن التاريخية المأثورة فى مكة، عكاظ،السنة الأربعون ،العدد 11569 ، السبت 28 ذوالحجة (1417) : 4.
22 ابن هشام ، السيرة النبوية 250/1 .
23 سورة غافر ،من الآية : 55 .
24 الرحيق المختوم : 91- 92 .

25 المستدرك على الصحيحين 3/ 574 .
26 سورة غافر ،من الآية : 55
27 ابن هشام ،السيرة النبوية 396/1
28 الصغانى ، تفسير القرآن 3 /324
29 على بن برهان الدين الحلبى،السيرة الحلبية 3 /38
30 سورة الاسراء ، الآية : 81
31 المباركبورى ، الرحيق المختوم 1 /23